إخوان الفلول

أكثر ما أسقط شعبية الإخوان فى مصر هو اعتياد الكذب، وتحول الكذب عند قيادتهم من عادة إلى عبادة، وإلى «عجل أبيس» الذى صنعه اليهود من ذهب مصر المسروق، وعبدوه من دون إله النبى موسى عليه السلام. وقد يقال إن فى السياسة كذب، وهذا صحيح عند السياسيين من النوع الانتهازى الرديء ، لكن الكذب يصبح جريمة كبرى عند الذين يصورون أنفسهم كأصحاب مرجعية إسلامية، فليس أشد مقتا عند الله من شخص يكذب، والنبى محمد ـ عليه أفضل الصلاة والسلام ـ يقول فى حسم قاطع: «لا يكون المؤمن كذابا»، بينما تعود قادة الإخوان على الكذب، بل واخترعوا صنفا عجيبا من الكذب، غادروا به معنى الصدق الذى يوصى به الإسلام، ولم ينتقلوا فقط إلى معنى «الكذب المساوى» فى الأمثلة الشعبية، أى أن يرتب أحدهم كذبة تبدو معقولة ومحكمة ومقنعة، وهو ما لم يفعله قادة الإخوان على وضوح الخلط والخطأ فيه، بل تجاوزوا إلى خطيئة «الكذب المفعكش»، أى الذى يناقض أوله آخره، فلا يقنع أحدا، ولا يخدع، بل يصير مكشوفا فاضحا تسود معه وجوه الكذابين.

خذ عندك ـ مثلا ـ دعوى قيادة الإخوان أنها تمثل الثورة، وأن محمد مرسى يمثل رئاسة الثورة، ولم يكن ذلك صحيحا فى أى وقت، ولا هو صحيح الآن، صحيح أنه لا يصح إنكار دور شباب الإخوان فى أيام الثورة الحرجة، وبالذات دورهم فى اليوم الموصوم باسم «موقعة الجمل»، لكن هؤلاء مارسوا دورهم بدواع وطنية وأخلاقية نقية، وترك الكثير منهم جماعة الإخوان بعد انكشاف دور

القيادة فى التآمر على الثورة، فلم تكن قيادة الإخوان أبدا مع الثورة، وليس فى أدبيات الإخوان أى ذكر لكلمة الثورة، وعبر سنوات طويلة ممهدة للموجة الأولى من الثورة المصرية فى ٢٥ يناير ٢٠١١، كانت قيادة الإخوان دائما على الضد من الحركات الداعية للثورة وخلع مبارك، وقد كنت - بحكم موقعى فى قيادة حركة «كفاية» - طرفا مباشرا فى حوار متصل مع الأحزاب وقيدة الإخوان، كنا ندعوهم إلى الخروج السلمى بالتظاهر ضد نظام مبارك، وكان رد قيادة الإخوان غالبا هو رفض المشاركة فى مظاهرات كفاية وأخواتها، بل واتهام حركة كفاية بقلة الأدب السياسى وهذه تصريحات ذائعة منشورة للمرشد السابق لجماعة الإخوان مهدى عاكف، كان عاكف ينعى على كفاية قلة أدبها بسبب هتافها الشهير «يسقط يسقط حسنى مبارك»، وكان عاكف - على التو زى - يتمنى على الرئيس مبارك أن يسمح له بلقائه فى حوار نشرته مجلة «أكتوبر» الحكومية عام ٢٠٠٥، ولم يحدث أن شارك الإخوان بصورة مرئية سوى فى مظاهرة نصرة القاضيين محمود مكى وهشام البسطويسى وقت إحالتهما المتعسفة للتأديب، ورفضوا المشاركة فى مظاهرات الدعوة المباشرة لخلع مبارك، وكانوا يتذرعون وقتها بالخوف مما اسموه «سحق الدبابات» للمتظاهرين، بينما لم تكن هناك دبابات فى الشارع من أصله، واستمرت قيادة الإخوان على النهج المخاصم لفكرة الثورة، ورفضوا المشاركة فى الدعوة لإضراب ٦أبريل ٢٠٠٨، وفضلوا مبدأ الاتفاقات السرية مع جهاز أمن الدولة على حصص مقاعد فى برلمانات مبارك المزورة، وهو ما اعترف به عاكف فى حوارات صحفية منشورة، بل وتحدث محمد مرسى - فى حوار منشور - عن إخلاء الإخوان لدوائر بعينها لصالح ما اسماه «قامات وطنية مرموقة» كزكريا عزمى وكمال الشاذلى، وقد ذكر مرسى - فى خطابه الأخير البائس - الاسمين كمثالين للفلول الفاسدين (!)، ودون أن يتذكر بالطبع سابق خدماته ومديحه الفج لهما ولأمثالهما، وهذا شيء طبيعى جدا عند مرسى بصفته رجل الإخوان المنتدب إلى قصر الرئاسة، فالكذب والتلون عادة

وعبادة عند قادة الإخوان والأكثر طرافة أن مرسى فى خطابه الأخير البائس يتحدث عن الثورة بحرارة، وكأنه من أبنائها وصناعها، وهو الذى لم يكن يجرؤ على ذكر اسم مبارك بكلمة نقد مباشر لا فى الصحو ولا فى المنام، لا فى السر ولا فى العلن، بل وكان يستنكر بشدة ـ بحسب فيديو متاح على الإنترنت ـ أى كلام عن الثورة ضد مبارك، ويتبرأ باسم الإخوان من كلمة الثورة وشرورها (!)، وكان مرشده العام محمد بديع ـ الذى خلف عاكف ـ أكثر صراحة، وأيد علنا حق جمال مبارك فى الترشح للرئاسة خلفا لأبيه، ورفضت قيادة الإخوان التوقيع على بيان مشترك للقوى الوطنية صدر باسم «البرلمان الشعبى» فى ٢٣ يناير ٢٠١١، أى قبل ٤٨ ساعة فقط من اشتعال الثورة، واشترطوا حذف نص من بيان كتبته بخط يدى، كان النص المرفوض من الإخوان يقول بالحرف «الإنهاء السلمى للحكم الاستبدادى، ومنع مبارك ونجله من الترشح لفترة رئاسية جديدة». ولا تكفى كتب ومجلدات لذكر مخازى قيادة الإخوان، وكذبها الصريح على الناس، وعلى شباب الإخوان الطيبين، وتوريطهم فى اعتداءات دموية على الثوريين، فقد تخلفت قيادة الإخوان عن المشاركة فى أول أيام الثورة، ثم لحقت بالثورة بعد أن أصبح نجاحها أكيدا فى خلع مبارك، لكن مؤامراتها فى الخفاء ضد الثورة لم تتوقف، وفى عز أيام الثورة، كانت قيادة الإخوان ترسل وفدا ـ من محمد مرسى وسعد الكتاتنى ـ للتفاوض مع عمر سليمان نائب مبارك وقتها، ثم بعد أن ذهب مبارك، كانت قيادة الإخوان تواصل التواطؤ ضد الثورة، وتجرى الصفقات مع مجلس طنطاوى وعنان، وتوافق على تحصينهم ضد المحاكمات بتعديلات المادة (٨) من قانون الأحكام العسكرية، وترفض ـ عبر برلمان الأكثرية الإخوانية ـ إقرار العمل بقانون يتيح محاكمة مبارك بتهمة الخيانة العظمى، وخلال عام من تولى مرسى الإخوانى للرئاسة، خرج كل رجال جماعة مبارك من السجن تباعا، ودون أن يعود مليم واحد من الأموال المنهوبة، ودون أن يعاقب متهم واحد بقتل الثوار، فقد ظلت المحاكمات الهزلية على حالها،

وكانت المحصلة هى إدانة الثورة باسم الثورة، وإعادة استنساخ اختيارات وتصرفات جماعة مبارك ذاتها، والتصالح مع ملياردیرات البيزنس فى جماعة مبارك، وإقامة شراكات عمل بين جماعة بيزنس مبارك وجماعة البيزنس الإخوانية، وتقديم الملياردير خيرت الشاطر وإخوته محل الملياردير أحمد عز وإخوته، فما بين الطرفين مجرد تنافس لا تناقض، والسلوك واحد فى امتصاص عرق الشعب المصرى ونهب ثروته، والسياسة واحدة فى رعاية مصالح رأسمالية المحاسيب أو رأسمالية المقاطيع، وفى استيلاء فلول الإخوان على مفاتيح المال والسلطة، وترك الأغلبية الساحقة من الشعب المصرى نهبا للفقر والبطالة والمرض والبؤس، ومواصلة سياسة الولاء للأمريكيين وحفظ أمن إسرائيل، واغتيال الثوار بعد اغتيال الثورة، ومع ذلك يتحدث مرسى وقيادة الإخوان عن تمثيلهم للثورة، بينما هم العنوان الموثوق للثورة المضادة، وليس من فارق واحد بينهم وبين جماعة مبارك، اللهم إلا فى إطلاق لحى لا تكفى لستر الكذب، فقيادة الإخوان هى أم الفلول، ومرسى هو رئيس الفلول بامتياز، وقد تحول خطابه الأخير البائس إلى حفلة أقنعة تنكرية بالكامل، لبس فيها لبوس الثورة وهى منه براء، وتصور أن اعتياد الكذب سوف يحل أى مشكلة، وتناسى أن الكذب هو المشكلة، فقد فقد شرعيته بالتواطؤ ضد الثورة، وفقد اعتباره بالكذب المفضوح، ولم يعد من مجال للحوار مع قتلة الثورة بغير انتفاضة الشعب الجارية فصولها الآن.

"صوت الأمة" فى ٢٧ من يونيو ٢٠١٣